عالم آخر

■ سرمد الطائي

عـــام عـاشـــر لـعـصـر جـديـد

يصادف اليوم أول ذكرى لسقوط صدام حسين بعد انسحاب أمريكا من العراق. الأعوام الماضية شهدت ولادة اكبر احلامنا، كما رسمت صورا لرحيل آلاف العراقيين بطريقة مؤلمة جدا، وتبدد آلاف الاحلام على نحو محبط للغاية.. وطيلة تلك السنين لم يتوقف الناس عن التشبث بالصبر والتحديق في وجه مفارقات عميقة تحدث في سيرة تغيير دخلت هذه اللحظة عامها العاشر.

في مثل هذا اليوم عام ٢٠٠٣ انتهت الحشود من إسقاط تمثال الدكتاتور الشهير، ورحنا رغم كل ألم الحرب نحاول ان نفرح، فالامر يعني ان البلاد تخرج من قبضة سلطان عزلها عن العالم، وكل الاسباب تريد للعراق ان ينفتح على اقدار تليق به، ويعوض اهله عن كل الدمار والخراب، رغم مخاوف كنا نتحدث عنها كل لحظة من طريقة رسم المستقبل.

ومن يومها رحنا كعاملين في الصحافة وصناعة الرأي العام، ندعم العصر الجديد للعراق، ونسجل مع سوانا في الوقت نفسه، كل المحاذير التي تحيط بالتجربة الوليدة والتي ظهرت مبكرا على شكل عنف أعمى وسياسات متخبطة لرعاة هذه التجربة محليا وإقليميا ودوليا. ولكن ما الذي حصل بعد كل ذلك؟

بعد دخولنا العام العاشر من العصر الجديد، تجد من يعترض عليك وأنت تنتقد السلطة: لماذا تغيرتم؟ ألم تكونوا تدعمون تفاصيل العصر الجديد؟ لماذا تصيرون معترضين على العصر الجديد؟ هكذا يقول لي ولسواي، قراء وساسة وعاملون في أحزاب تعتقد أن انتقاد رئيس الحكومة هو "خيانة" للتجربة.

لكننا وبعد دخول العام العاشر على العصر الجديد، لم نتغير كثيرا، فقد بقينا نعتقد ان احتجاجنا المتواصل هو انتصار لروح الإصلاح والحرية التي لم يمنحها لنا صدام حسين، ثم حصلنا عليها بطريقة فوضوية بعد سقوطه، ويريد سلطان آخر اليوم ان يتولى "تنظيمها" بطريقة تخون كل تضحيات السنوات الصعبة.

إنني أقرأ الآن وفي لحظة دخول العام العاشر على سقوط صدام حسين، تقريرا نشرته واشنطن بوست ينقل عن الناشط والمدون حيدر حمزوز انه يخشى من بند في قانون حكومي لـ"جرائم المعلومات" يفرض عقوبة بالسجن لمدة عام على من يخالف القيم الأخلاقية والدينية والعائلية. لان العبارات العائمة ستصبح سلاحا بيد السلطة تسجن به من تشاء. والدول المتمدنة تكتب مثل هذه البنود بأكبر قدر من الدقة بينما تسردها حكومتنا إنشاء سهلا عائما بلا محددات فتقول ان السجن مدى الحياة سيكون مصير من يستخدم الكمبيوتر وشبكات الاتصال الاجتماعية لتهديد "استقلال الدولة وسلامتها ووحدتها".

وبعد دخول العام العاشر تقرأ في الأخبار ان كل الكتل تريد مناقشة رئيس حكومة ائتلافية مكونة من تحالف الكتل نفسها، ومحاورته حول طريقة ادارته للدولة.. لكنه يرفض بأشكال عدة. كما تقرأ في الاخبار ان البرلمان منشغل بكل شيء لكنه يحجم عن استجواب المسؤولين الذين تعثروا وتلكأوا في تحقيق منجز واضح للأمن والخدمات والاقتصاد، بالأموال التي أتيحت لهم على مر السنوات التسع الصعبة التي انتهت من أعمارنا جميعا.

وبعد دخول العام العاشر، لا يزال حلم ان نعيش مثل نظرائنا في الدول المتقدمة، بعيد المنال بسبب أمزجة ساسة يحكموننا ولا يعجبهم ذلك. وهناك من يقيم الدنيا دون ان يقعدها، مثل صدام حسين بالضبط، حين يرى الشباب يحلمون بأن يعيشوا مثل نظرائهم في اليونان او ماليزيا، على مستوى التنمية والحرية والرفاه وسبل التقدم. وبعد دخول العام العاشر، مازلنا نعتقد ان أمام عراقنا فرصة كبيرة رغم كل الحظوظ التي اهدرتها الاحزاب والطوائف. وان التمسك بتلك الفرصة يعني المزيد من الاحتجاج والاعتراض، وان على الشعب ألا يستسلم بين يدي سلطانه هذه المرة، لأنه فعلها في مرات سابقة ورأى النتيجة التي انكشفت عام ٢٠٠٣ عن خراب عظيم بحجم الامة اورثه لنا رجل تصرف بمزاجه بالمصائر، طيلة ٢٤ عاما ظل فيها رئيسا للعراق.

الاكثر وفاء لعشرة اعوام من العصر الجديد، هم النشطاء الشباب الذين لم يعرفوا صدام جيدا بحكم اعمارهم، وبدلا عن ذلك تذوقوا طعم الحرية ولم يستطيبوا طعم الاستبداد او يتربوا عليه. الطفل الذي كان بعمر ١٠ اعوام في ٢٠٠٣، يدخل عامه العشرين اليوم وهو مشبع برغبة ان يظل حرا، ورغبته هذه أمل فريد وسط كل الفرص المهدورة لكل العصور.

في الذكرى التاسعة لسقوط نظام صدام

أهـــم المـحـطـات الـزمـنـيـة لـلـوجـود الأمـيـركـي فـي الـعـراق

تمر اليوم الذكرى التاسعة للتغيير الذي حصل في العراق وأدى إلى إسقاط نظام صدام،ونشوء نظام جديد.
بدأت عملية غزو العراق في ٢٠ /٣/ ٢٠٠٣ في الساعة ٥:٣٠صباحا بتوقيت بغداد وبعد مرور٤٥ دقيقة صرح الرئيس الأمريكي انه أصدر أوامره بتوجيه (ضربة الفرصة) التي علم فيما بعد أنها كانت ضربة استهدفت منزلا كان يعتقد أن صدام متواجد فيه.

□ بغداد/ المدى

وقادت الولايات المتحدة الأمريكية تحالفا دوليا، لم يحظ بموافقة من الأمم المتحدة ولا تفويض من مجلس الأمن الدولي، يتألف من قوات من ٤٩ دولة، وشكلت القوات العسكرية الأمريكية والبريطانية نسبة ٩٨ ٪ من هذا الائتلاف. وتمكنت القوات الأمريكية ومعها القوات المتحالفة من احتلال العاصمة بغداد يوم ٩ نيسان أبريل ٢٠٠٣، في حين انتهت المعارك العسكرية يوم ٢ أيار مايو ٢٠٠٣، لتبدأ قوات الاحتلال الأميركي بمواجهة مقاومة مستمرة من عناصر عراقية مسلحة متنوعة التوجهات في كل مناطق تواجدها بـ ١٥ محافظة عراقية طوال سنوات احتلالها العراق، فضلا عن عناصر غير عراقية استدرجتها هذه القوات إلى المسرح العراقي بعد أن فتحت لها الحدود الدولية للعراق لتصفيتها بعيدا عن ساحات أخرى في مدنها تضم مصالح أمريكية أو غربية، وأوقعت هذه المواجهات في صفوف الجيش الأمريكي أكثر من ٤٤٨٤ قتيلا واكثر من ٣٢ الف جريح بحسب احصاءات أعلنت عنها وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون، فيما تتحدث إحصاءات أخرى غير رسمية عن أضعاف هذه الخسائر.

في التاسع عشر من آذار عام ٢٠٠٣ أدلى الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش ببيان قال فيه إن القوات الأمريكية بدأت ضرب "أهداف منتقاة" داخل العراق بهدف تحييد الأسلحة العراقية ، وبدأت عملية "حرية العراق" بضربات مركزة وعنيفة ضد الأهداف العسكرية العراقية باستخدام قنابل خارقة للدروع والخراسانات ، واستهدفت عددا من المزارع خارج بغداد بعد أن قالت معلومات استخباراتية خاطئة إن صدام ربما كان مختبئا في واحدة منها.

احتاجت القوات الأمريكية لأقل من شهر كي تتوغل داخل شوارع العاصمة العراقية. وقال المتحدث باسم البيت الأبيض آري فلتشر "بقدر سرور الرئيس الأمريكي بتقدم الحملة العسكرية في العراق، إلا أنه لا يزال قلقا لأنه يعرف أن هناك مخاطر قادمة.

بعد شهرين من بداية الغزو، ظهر الرئيس جورج دبليو بوش على حاملة طائرات امريكية ليعلن انتصار الولايات المتحدة، ولكنه كان حريصا على التأكيد على أن الحرب لم تنته، لأنه من الناحية الرسمية فإن الولايات المتحدة لم تعلن الحرب أبدا على العراق، من ناحية ، ولإن الحرب كانت لا تزال مستمرة ، من ناحية أخرى. وقد استمر ذلك الوضع لأكثر من ثماني سنوات كاملة.

١٣ كانون الأول ٢٠٠٣

"سيداتي سادتي، لقد أمسكناه" ، كانت تلك كلمات بول بريمر الحاكم العسكري الأمريكي للعراق وهو يعلن للصحفيين في بغداد نبأ القبض على صدام. وقد حوكم صدام بعد ذلك أمام محكمة شكلتها الحكومة العراقية الجديدة وأدين بارتكاب جرائم أثناء فترة حكمه، وأعدم في عام ٢٠٠٦.

فضيحة أبو غريب نيسان ٢٠٠٤

انتشرت صور الجنود الأمريكيين وهم يلحقون الإهانات بالسجناء العراقيين في سجن أبو غريب، وتداولتها المحطات الفضائية الأمريكية والعالمية. وقال الجيش الأمريكي إن ما يحدث في الصور هو نتاج تصرفات فردية ممن سماهم بـ"بعض التفاحات العفنة" بين القوات العاملة في العراق. ولكن في عام ٢٠٠٨ قال تقرير للجنة الخدمات المسلحة في الكونجرس إن التعذيب كان ثقافة راسخة في الجيش الأمريكي ويحظى بموافقة كبار المسؤولين.

التفجيرات الانتحارية ٢٠٠٥

بلغت التفجيرات الانتحارية في العراق ذروتها في عام ٢٠٠٥، حيث وقع ٤٧٨ هجوما، وبدا أن المتمردين تحولوا بعيدا عن القوات الأمريكية وبدؤوا في استهداف أفراد قوات الشرطة والجيش والمدنيين العراقيين، ودخل العراق في دوامة عميقة من الفتن الطائفية بين السنة والشيعة. وكان ذلك إيذانا ببدء حرب أهلية في العراق عام ٢٠٠٧.

الحكومة الجديدة أيار٢٠٠٦

رئيس الوزراء نوري المالكي يعرض على البرلمان العراقي أول حكومة عراقية منذ سقوط نظام صدام بالرغم من أن منصبي وزيري الدفاع والداخلية لا يزالان شاغرين حتى اليوم ويتولى المالكي المنصبين بنفسه. وفي يوليو/تموز سلمت قوات التحالف السيطرة على محافظة المثنى للقوات العراقية للمرة الأولى منذ سقوط صدام.

خطة التعزيزات كانون الثاني ٢٠٠٧

في مواجهة تزايد هجمات المتمردين قررت الإدارة الأمريكية إرسال تعزيزات كبيرة إلى المناطق الساخنة في العراق تحت إمرة الجنرال ديفيد بيتريوس ، وبتوجهات جديدة للحرب تستهدف كسب قلوب العراقيين وعقولهم .وبحلول عام ٢٠٠٨ انخفضت حوادث العنف بنسبة ٨٠٪ في بعض المناطق وبدأ التفكير في نقل المسؤوليات الأمنية إلى القوات العراقية.

مغادرة القوات البريطانية ٣٠ / نيسان ٢٠٠٩

القوات البريطانية تنزل العلم البريطاني إيذانا بانتهاء مهامها القتالية في البصرة. وفي مطلع ٢٠١١ سلم آخر ٨١ من جنود البحرية البريطانية مهامهم في ميناء أم قصر إلى البحرية العراقية. وقد تمخضت الحرب في العراق عن مقتل ١٧٩ جنديا بريطانيا.

بدء انسحاب القوات القتالية الأمريكية ٣١ آب ٢٠١٠

القوات الأمريكية ستغادر العراق ، ولكن ٥٠ ألف جندي أمريكي سيبقون في العراق لتقديم المشورة والتدريب للقوات العراقية. وللتعبير عن ذلك أعيدت تسمية العملية العسكرية الأمريكية في العراق إلى "الفجر الجديد" بدلا "حرية العراق".

اقتراب النهاية تشرين الثاني ٢٠١١

الرئيس الأمريكي باراك أوباما يعلن انتهاء العمليات العسكرية الأمريكية في العراق، ويعد بإعادة القوات الأمريكية مع حلول عيد الميلاد، الإعلان جاء بعد فشل الحكومتين الأمريكية والعراقية في التوصل إلى اتفاق بشأن توفير الحصانة الجنائية للجنود الأمريكيين العاملين في العراق، وهي الحصانة التي تضمن لهم جميعا مغادرة العراق في الموعد المتفق عليه وهو ٣١ كانون الأول ٢٠١١.

الخسائر

وفقا لآخر أرقام وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، فقدت الولايات المتحدة ٤٤٨٧ عنصرا في العراق منذ غزو تلك البلاد في ما بات يُعرف بـ "عملية حرية العراق" في التاسع عشر من شهر آذار عام ٢٠٠٣.

وفي ٣١ آب من عام ٢٠١٠، أي مع انسحاب آخر من دفعة من القوات الأمريكية القتالية من العرق، بلغ عدد القتلى في صفوف القوات الأمريكية ٤٤٢١ عسكريا، قضى ٣٤٩٢ منهم خلال مشاركتهم في الأعمال القتالية، بينما بلغ عدد الذين أصيبوا اجراء العمليات ٣٢٠٠٠ شخص.وقتل منذئذ ٦٦ عسكريا، قضى منهم ٣٨ خلال مشاركتهم في الأعمال القتالية خلال مشاركتهم في ما بات يُعرف بـ "عملية الفجر الجديد".

أما عدد من أُصيبوا خلال مشاركتهم بالأعمال القتالية منذ الأول من شهر سبتمبر/أيلول ٢٠١٠، فقد بلغ ٣٠٥ أشخاص.

وفقدت بريطانيا ١٧٩ من عسكرييها، من رجال ونساء في العراق، قضى منهم ١٣٦ خلال مشاركتهم في الأعمال القتالية، بينما قُتل ١٣٩ عنصرا من قوات الدول الأخرى المشاركة بالتحالف الدولي، حسب موقع آي كاجولتيز (icasualties).

وبينما نلاحظ أنه قد جرى التوثيق بشكل معقول للضحايا الذين سقطوا في صفوف القوات للدول الأخرى المشاركة في التحالف، نرى أنه من الصعوبة بمكان رصد عدد من سقطوا من بين المدنيين والعسكريين العراقيين، وذلك نظرا لغياب الأرقام الرسمية التي يمكن الاعتماد عليها. فهنالك خلاف شديد بشأن كافة الروايات والتقديرات المتعلِّقة بعدد الضحايا في العراق.

وقد دأبت "هيئة إحصاء القتلى العراقيين" خلال الفترة الماضية على جمع وتدقيق وتمحيص أعداد القتلى المدنيين، مستخدمة بذلك أسلوبا يعتمد على مقاطعة المعلومات الواردة في العديد من التقارير الإعلامية والأرقام الأخرى الصادرة عن جهات مثل سجلات المشارح.فوفقا للهيئة المذكورة، فإن عدد القتلى العراقيين الذين سقطوا في العراق حتى شهر حزيران من عام ٢٠١٠ يتراوح ما بين ٩٧٤٦١ و١٠٦٣٤٨ شخصا.

وكان الشهر الذي وقع فيه غزو العراق، أي آذار من عام ٢٠٠٣، أكثر الفترات دموية، وذلك إذا ما أخذنا بالاعتبار عدد القتلى في صفوف المدنيين، إذ تقول "هيئة إحصاء القتلى العراقيين" إن ٣٩٧٧ مواطنا عراقيا عاديا قضوا في ذلك الشهر، و٣٤٣٧ قتلوا في شهر نيسان من ذلك العام.

وتقول الهيئة إن الفرق بين أعلى وأدنى الأرقام الصادرة عنها بشأن عدد القتلى في العراق مردّه التناقضات الواردة في التقارير المتعلّقة بعدد القتلى الذين سقطوا جرّاء أحداث معينة، سواء كان أولئك الضحايا مدنيين أم عسكريين.

وقد أدى بعض التقارير والاستطلاعات إلى وجود طيف واسع من التخمينات والتقديرات المتعلّقة بعدد القتلى الذين سقطوا في العراق، فقد قدر "استطلاع صحة الأسرة العراقية"، الذي دعمته الأمم المتحدة، عدد من قضوا في العراق جراء أعمال عنف في الفترة الممتدة ما بين شهري آذار من عام ٢٠٠٣ حزيران من عام ٢٠٠٦ بـ ١٥٠ ألف شخص.

أما مجلة "لانسيت" الطبية، فقد نشرت في عام ٢٠٠٦ دراسة قدرت عدد العراقيين الذين قضوا جراء الحرب بـ ٦٥٤٩٦٥ قتيلا، منهم ٦٠١٠٢٧ قُتلوا نتيجة أعمال العنف في البلاد.

وتضمن كل من "استطلاع صحة الأسرة العراقية" ودراسة "لانسيت" إحصائيات للقتلى الذين سقطوا في صفوف المدنيين والعسكريين والمقاتلين.وقد لقي عدد غير معروف من المقاولين المدنيين في العراق حتفهم، إذ ينشر موقع "آي كاجولتيز" ما يصفها بقائمة جزئية لأولئك الضحايا، ضمنها أسماء ٤٦٧ متعاقدا.

التكلفة

التكلفة المالية للحرب هي منطقة أخرى جرى التطرق إليها وتحليلها على نطاق واسع.فقد قدرت وحدة البحوث في الكونغرس الأمريكي، وهي هيئة بحثية مرموقة وتتجاوز الأحزاب، أن تكون الولايات المتحدة قد أنفقت مع نهاية العام المالي ٢٠١١ مبلغا قدره ٨٠٢مليار دولار أمريكي على تمويل الحرب، وقد جرى بالفعل تخصيص ٧٤٧,٦ مليار دولار منها.

إلاّ أن كلاً من الاقتصادي الأمريكي جوزيف ستيغليتز، الفائز بجائزة نوبل للاقتصاد لعام ٢٠٠١، وليندا جي بيلميز، كبيرة المحاضرين في شؤون السياسة العامة والتمويل والموازنات في جامعة هارفارد الأمريكية، يعتقدان أن تكون التكلفة الحقيقية لحرب العراق قد بلغت ثلاثة تريليونات مليار دولار، وذلك في إذا ما أخذنا بالاعتبار الآثار الإضافية لتلك الحرب على الميزانية والاقتصاد الأمريكيين.

وقد مولت بريطانيا حصتها من تكلفة الحرب من صندوق احتياطي الخزينة، وتلك المبالغ هي أموال إضافية تُخصص لدعم الميزانية العادية لوزارة الدفاع. فوفقا للأرقام الصادرة عن مقر رئاسة الحكومة البريطانية في شهر حزيران من عام ٢٠١٠، فإن تكلفة المشاركة البريطانية في حرب العراق بلغت ١٤,٣٢ مليار دولار، ذهب معظمها لتمويل العمليات العسكرية، وأُنفق مبلغ ٨٦١ مليون دولار على المساعدات.

وفي شهر كانون الثاني من عام ٢٠١٠، قُدّم للجنة التحقيق البريطانية في الحرب على العراق ملخص يظهر كيفية تمويل الحرب على العراق.

المُهجَّرون

بدأت أعمال العنف الطائفي في العراق بالتصاعد منذ أوائل عام ٢٠٠٥. إلاّ أن تفجير مرقدي الإمامين العسكريين في سامراء، في شهر شباط من عام ٢٠٠٦ تسبب بتصاعد موجة الهجمات المتبادلة بين السنة والشيعة على نحو متزايد.وقد أرغم ذلك العديد من الأسر العراقية على هجر منازلهم والانتقال إلى مناطق أخرى في البلاد، أو ببساطة هربوا إلى الخارج.

من جانبها، تقدر المنظمة العالمية للهجرة، والتي ترصد أعداد الأسر المهجرة، أن حوالي ١,٦ مليون عراقي أُبعدوا عن ديارهم داخل العراق في الفترة الممتدة ما بين عامي ٢٠٠٦ و٢٠١٠، ويشكّل هذا العدد ٥,٥ في المئة من عدد سكان البلاد. وقد عاد حوالي ٤٠٠ ألف من أولئك المهجرين إلى ديارهم حتى أواسط عام ٢٠١٠، إذ عاد معظمهم إلى العاصمة بغداد ومحافظات ديالى ونينوى والأنبار، وفقا للمنظمة المذكورة.

مدير التحرير | رئيس القسم | مسؤول الصفحة | القسم الفني | قسم التصحيح